

الجن البريء!



www.balagh.com

.. تعود بي الذاكرة إلى أيام الطفولة، يوم كان بيتنا مواجههاً للمقبرة، وكذّا نتّخذ من القبور مسرحاً للعبة التخفي، متناسين كلّ حكايات الرعب وأقاصيص الخوف التي كانت تلقى على مسا معنا لإجبارنا على الطّاعة تارة، وعلى النّوم المبكّر تارة أخرى .
كذّا نجاور الأموات متصالحين معهم، يحكم بيننا وبينهم حسن الجوار، فلا نحن نزعجهم بمخربنا الدائم، ولا هم يتعرضون لنا بأذىّة.

ورغم الحقيقة الماثلة أمام أعيننا، وجرأة الطفولة المتحفّزة، فلا ننكر وقع مخاوف شاءت البيئة المشبعة بالخرافة أن تحترفها في أذهاننا الطريّة ..

كانت قريتنا كجاراتها من القرى الفقيرة، تسكنها العتمة عند الغروب، وكلما اشتدّ سكّين الليل في كبد السماء، خيم الأسود الممزوج بالخوف والرهبة على العقول، وتتفتّقت قريحة الوهم عن أساطير وأقاويل تنسن لها الآذان وتدعن لها النفوس دون نقاش أو اعتراض ..

أذكر كثيراً من إفرازات العتمة في قريتنا، ولعلّ أكثر ما استحضره حتى اللحظة هو نجم نجوم الرّعد المسمّى "بالجن" ..

ذلك المخلوق الآتي إلينا من عالمه النارِي ليقتحم حياتنا، فينشر غسله الأبيض على سطوحنا، ويقيم

أعراضه في البيوت المهجورة والمقفرة، وربما قادته الوقاحة وضعفنا إلى احتلال أجسادنا واعتقال عقولنا. فنرى صنيع شروره ببعض ضحاياه من المتصوّعين، ونتلمسُ سُبُّ سريرته وقد فصمت عرى الوئام ما بين الزوج وزوجته، وقطع حبال الوصال ما بين الأخ وأخيه.

ولم يكتفي الجن المستبد بما قدّمت يداه من خراب، وإنما قاده جموحه إلى اختطاف العروس ليلة عرسها والتزوّج بها رغمًا عنبني البشر، وقد اتّخذ من جسمها العليل مسكنًا لروحه الشريرة، ولم تنفع معه كل التعاوّذ والقراءات الجليلة، ولم يرعى بالضرب المبرّح ليخرج من الجسم الطريح أمام الجلادين من قرنائه الإنس !! ..

سنون مضت و"الجن" يحتل مساحات شاسعة من المخيلة الشعبية، ويتصدر قائمة المتّهمين بحوادث وعلل حلّت بنا آثارها وخفيت عنا أسبابها. ورغم وصول الكهرباء وتبديد العتمة في الشوارع والبيوت، رغم انبعاث الضّوء من بطون الكتب، وانقشاع السّحاب عن وجه الشّمس، بقي الجن حبيس أذهان الكثيرين من المتخمين بالوهم، وما زلنا نسمع من هنا وهناك حكايات المس والتلبّس، والعلاج بالبخور، وتوسيّل الجن لاستعلام الغيب، ونفح الرّوح في الرّحم العاشر..

ولأننا عرفنااليوم أمراض المصّرع، والفصام، واضطراب الكيان التفكّكي، والاضطراب التحوّلي، وغيرها من الاعتلالات الذهنية والنفسية، ولأننا اهتدينا الطريق إلى معرفة أسباب الكثير من الطواهر الطبيعية والأنفسية، وأدركنا من خلال الدّين المسافة الفاصلة بين عالمي الإنس والجن، ولأننا نريد استئناف محبتنا بالعلم، وتوريث الأبناء أمجاد الآباء، ولأننا نريد إنصاف الجن من أنفسنا، ونعتذر عمّا سقناه ضدّه من تهم جراف .. فإنّنا أمام محكمة الله والإنسان نعلن براءته !!! ..